صباح الخير يا شهرزاد، وارتديت ملابسي، واصطحبت بناتي إلى المدرسة، اليوم وغدا والغد الذي تلاه، يوما بعد يوم بعد يوم، كل يوم، حتى تلقفتني عاصفة تالية وعاصفة أخري بعدها. شاهدت التوابيت مصفوفة صفا طويلا لا تحيط به عدسة المصور إلا عن بعد، وآلاف الرجال المحتشدين في الملعب البلدي يقيمون صلاة الجنازة، يتحرك الموكب في قيظ غريب على يوم ربيعي. الأكفان محمولة على أكف الرجال، يقطعون الطريق من الملعب الكبير إلى المقبرة: مستطيلات محفورة في عمق الأرض، متلاصقة، متطابقة، متساندة، وتنتظر. قلت لنفسي: لم تطأ نصال الجرافات جثامينهم لتزيحهم مع التراب في غياهب قبر جماعي، كانوا أكثر حظا لأن أحدا لم يلق بهم مكدسين، جسد على جسد، ويد فوق ساق، وقدم على عينين في أوضاع خانقة تحرمهم الجيرة الطيبة والتواصل الأليف، كل في خصوصية قبره المُعَيَّن، عن يمينه جار، وعن يساره جار إذا جن به الليل يأتنس بالكلام معه. قلت: لن أرى مشهدا أكثر حزنا وجنونا. ولكني كثيرا ما أخطئ التقدير. عشت لأري جثثا في أدراج ثلاجة، في كل درج جثتان، ومسيرات من أعلام وبشر يحملون جثامين جديدة كل يوم، وسيارات نقل كبيرة كتلك التي يكتظ على ظهرها عمال التراحيل أو الأطفال الذاهبين لجني القطن، أو حتى جنود الأمن بعد تلقيهم الأمر بالتوجه لقمع مظاهرة، تصطف في كل سيارة نقل منها الأكفان، كفن لصق كفن، أبيض لصق أبيض.

أين لير من تلك العواصف؟

هل تبادلني أيها الملك المسرحي حياة بحياة؟ أعطني جحود ابنتيك، وخذ بحر البقر وشاتيلا والعامرية وقانا وجنين.

لا لن أعطيها لك، هذه حكايتي! اذهب بعيدا يا ملك المسرح، لم تعرف من الألم شيئا، والمعلّق على الصليب حكاية من إنتاجنا المحلي.

توقف عن الكتابة، قال: سيهرب القراء من كتابي. جمعت لهم في